دور الرَّبَّة إيزيس Isis في رواية "التحولات" "لأبوليوس"

منى فتحي أحمد حمدان (*)

لعل أهم الآلهة في رواية "التحولات" هي الرّبّة إيزيس في الكتاب الحادي عشر؛ حيث إنه لدينا الكثير من المعلومات التفصيلية عن عبادة هذه الربة، كما يظهر تمثال للربة نفسها، كما يمدنا أيضًا بالأسماء والطوائف التي ادعت إيزيس أنها تمثلها في عالم البحر المتوسط وكذلك نرى وصفًا لموكب الربة، وعلى الرغم من أن بعض هذه المعلومات تُكيَّف مع الإطار السردي للرواية، إلا أن دقتها العامة لا شك فيها، كما أن هذا ليس إشارة إلى ترويج أبوليوس لعبادة إيزيس، على الرغم من أن أبوليوس نفسه ربما يكون قد قام بطقوس السيامة[١]، (وبالتالي ربما تكون معلوماته تفصيلية). ما لدينا هنا هو عرض ذاتي من قبل عضو من النخبة الاجتماعية والفكرية، وهو عرض لأصحاب لرأس المال المثقفين، فإن النخبة الفكرية فقط هم من يهتمون بالتفاصيل الدقيقة لعبادة إيزيس، كما أنه لن تتمكن سوى النخبة الاجتماعية من تحمل تكاليف السيامة.[٢]

نظرًا إلى أن الكثير من وصف أبوليوس لعبادة إيزيس يمكن دعمه بالأدلة الخارجية، فقد استخدم النقاد وصفه للأنشطة الدينية، بما في ذلك نظام العبادة وطقوس "السّيامة" كعنصر أساسي للدراسات التاريخية. كما اعتمد أيضًا النقاد على رواية أبوليوس لاكتساب معرفة عامة عن الأديان الغامضة في العالم اليوناني والروماني؛ لذلك فعلى الرغم من أنها عمل أدبي، إلا أن "التحولات" تقدم سردًا دقيقًا وشاهد عيان لعبادة إيزيس في القرن الثاني الميلادي.[٣] وأخيرًا تُنقَذ لوكيوس بتدخل من الربة إيزيس في الكتاب الأخير، وهذا الحدث الأخير هو الأكثر أهمية

(*) هذا البحث مستل من من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [دور الآلهة في رواية "التحولات" لأبوليوس]، تحت إشراف: أ.د. هانم محمد فوزي سليمان – كلية الآداب – جامعة القاهرة & أ.د. طه محمد زكي عبد المعطي - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

(١) السيامة:(السيامة أو الرسامة) يوجد في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مصطلح "سيامة، أو "السيامة" هو خطأ لغوي شائع في اللغة العربية، ويُقصَد به "الرسامة"؛ أي رسامة الرتب الكنسيّة المختلفة (الإكليروس)، وأحيانًا يُقال على الشخص الذي يتم رسامته أنه تم تكريزه، أو كُرّز، والمقصود التكريس. والرسامة أو السيامة هى صلوات وضع اليد على أى من الرهبان بعد اختياره لرتبة الأسقفية، وبعدها بفترة يكون التجليس على الإيبارشية. (https://www.youm7.com/story/2021/2/14).

(2) Harrison, S.J., (2004), Apuleius A Latin Sophist, Oxford Uni. Press, p.226.

(3) Seemgmiller, B., (2004), Isis Worship in Second Century Greece and Rome as Portrayed in Apuleius' *Metamorphoses*, Utah State University, for the degree of Master of Arts, p.16.

هنا؛ لأنه بعد إنقاذ لوكيوس بدأ الانخراط في طقوسها السرية؛ حيث يوفر الكتاب الحادي عشر من "التحولات" النسخة الكاملة الموجودة لعبادة إيزيس في روما. وعلى الرغم من أن الرواية تتكون من أحداث رائعة وأعياد إلهية عديدة، إلا أن أهميتها هنا تكمن في أنها تقدم لنا صورة مفصلة عن عبادة إيزيس؛ لأنها تتناول حياة الأفراد من أنصارها والمجتمعات التي تأسست فيها معابدها، ففي حين أنها عمل خيالي، إلا أن الرواية لها إطار واقعي وتقدم ملابسات يمكن تمييزها. كما يعتمد أبوليوس على إلمام قرائه بالعبادة، فإن أبوليوس يصف شكلًا من أشكال العبادة الدينية التي شهدها في رحلاته وفي تعليمه وربما شارك فيها مباشرة. حيث تدعم إشارات السيرة الذاتية داخل النص نفسه هذا التفسير؛ فعلى سبيل المثال، جعل أبوليوس لوكيوس يصف نفسه بأنه من ماداوروس، كما أنه يصور لوكيوس بأنه محامٍ ناجح في المحاكم الرومانية، وكلاهما ينطبق على أبوليوس، بالإضافة إلى ذلك فإن معظم أوصاف عبادة إيزيس مدعومة بأدلة خارجية. وتُثبَت قيمة لوكيوس كمصدر تاريخي من خلال التحقق من وصفه لعبادة إيزيس من خلال أدلة أثرية وأدبية أخرى، على سبيل المثال تم التعرف على المعابد التي قام لوكيوس بطقوس السّيامة بها في كل من اليونان وروما من الناحية الأثرية وأُثبتت عند كُتاب أخرين مثل باوسانياس Pausanias.(٤)

ولا يزال الكتاب الحادي عشر من تحولات أبوليوس لغزًا، فقد كانت الأسئلة التالية محور اهتمام الدراسات الخاصة بأبوليوس خلال القرن الماضي: هل يمكننا أن نأخذ الجزء الأخير من الكتاب الحادي عشر من تحولات أبوليوس على محمل الجد؟ هل نفهم أن تحول لوكيوس إلى عبادة إيزيس وتقديم طقوس السّيامة صادقة؟ هل تعطي التلميحات الفلسفية في الرواية ثقلًا فلسفيًا جادًا؟ فمن ناحية، من الصعب إنكار وجود العديد من العناصر الفلسفية والدينية الجادة طوال الرواية، فقد أدرك العلماء منذ فترة طويلة أن أبوليوس، الأفلاطوني، أدرج العديد من الأفكار الأفلاطونية في روايته (والأكثر وضوحًا نجدها في أقصوصة "كيوبيد وبسيخي")، وربما قصد أن يكون للرواية -إما جزئيًا أو كليًا- غرضًا فلسفيًا أو تعليميًا. وفي الآونة الأخيرة لاحظ آخرون أن تصوير تحول لوكيوس وعبادة إيزيس صادق

---

(4) Seemgmiller, B., (2004), p.14-15.

باوسينياس Pausanias: (باليونانية Παυσανίας) (حوالي ١١٠م- ١٨٠م) رحالة وعالم جغرافي يوناني عاش في القرن الثاني الميلادي في زمن الأباطرة هادريانوس وأنطونينوس بيوس وماركوس أوريليوس. أشهر أعماله كتاب "وصف اليونان" " Ἑλλάδος Περιήγησις"وهو عمل مطول يصف اليونان القديمة من خلال ملاحظاته المباشرة، يوفر هذا العمل معلومات مهمة لإيجاد روابط بين الأدب الكلاسيكي وعلم الآثار الحديث (OCD, s.v. Pausanias).

للغاية، ومفصل، ومبجل، وليس من الصحيح أن يُرفَض بشكل عرضي على أنه مجرد هجاء.[٥]

عندما يتحول الكتاب الحادي عشر من "تحولات" أبوليوس من الخداع واللا أخلاقية، والأمور الدنيوية والسحر في الكتب العشرة الأولى إلى ما يبدو تصويرًا صادقًا ورعًا ونبيلًا وملهمًا لتجربة دينية، مما يربك منتقديه الذين يحاولون إيجاد تفسير جاد لذلك. وأحد هذه التفسيرات هو افتراض أن التأثير الديني للكتاب الأخير يهدف إلى احتضان العمل بأكمله؛ مما يجعله عملًا جادًّا طوال الوقت. فقد كتب أبوليوس رواية جادة، رحلة حج لرجل في هيئة حمار يبحث عن المعرفة والمعجزات. ففي حين أن لوكيوس قد أفسد قصة شعبية بسيطة، قام أبوليوس بتمجيدها من خلال جعل رحلات لوكيوس بحثًا عن المعنى الروحاني للحياة. أما النهج الثاني فهو أن النية الحقيقية لأبوليوس هي مجرد التسلية وافتراض أن الكتاب الحادي عشر قد أضيف لتبرير عشرة كتب من التسلية البحتة، فلم يجرؤ أبوليوس أن يدع كتابه يظهر للعالم مجرد خيال ليس له مغزي سوي التسلية، وليس له غرض من الأغراض الجادة؛ لذلك كان عليه أن يعطيها نوعًا من الثقل الرسمي، وبالتالي فإنه بدلًا من النهاية الهزلية الأصلية للوكيوس، استبدل بها نوعًا مختلفًا تمامًا في الكتاب الأخير.[٦]

سبب ظهور الربة إيزيس في نهاية الحكاية

وفي محاولة لحل لغز ظهور الربة إيزيس في ختام قصة لوكيوس، ثم تقديم إجابة بسيطة من قِبل العديد من القراء والعلماء، فإن إيزيس تظهر في الكتاب الأخير من "تحولات" أبوليوس؛ لأن أبوليوس نفسه قد قام بطقوس السيامة في عبادة الربة إيزيس، كما يؤكد العلماء على الأسلوب الديني السائد في الكتاب الحادي عشر، خاصة كما هو واضح وغير متوقع تمامًا، أنه على النقيض من الكتب العشرة الأولى، وهو الذي يزعمون أنه يكشف عن عبادة أبوليوس للربة إيزيس[٧]. يرى أندريه جان فيستوغير Andre- Jean Festugiere أن لوكيوس، بطبيعة الحال، شخصية وهمية؛ ولكن أبوليوس ليس كذلك، إنه شخصية تاريخية حقيقية، لكي يرسم شخصية بطله بهذا القدر من الدفء الروحي وبهذا القدر من الحقيقة، فلابد وأنه قد

([5]) Winkle, J. T., (2002), Daemons, Demiurges, and Dualism: Apuleius' *Metamorphoses* and the mysticism of late antiquity, Uni. Of North Western, for the degree of Doctor of Arts, p.5.

([6]) Bohm, R.K., (1973), The Isis Episode in Apuleius, *C.J.*, Vol. 68, No.3, pp.228-231, p.228.

([7]) Cromley, D., (2012), Voce Privatus: Speech, Silence, and Human Entanglement in Language in Apuleius' Metamorphoses, for the degree of Doctor of Arts, Uni. Of Chicago, p. 26-27.

اختبر هذه الحالة الروحية بنفسه؛ لذلك نجد أنفسنا مضطرين للاعتراف بأن بعض الوثنيين يعتقدون أنهم محبوبون حقًّا بهذه أو تلك الشخصية الإلهية المستمدة من الديانات القومية القديمة.[٨]

لا نحتاج إلى أن نقصر السبب على أن أبوليوس قد قام بطقوس السيامة في عبادة الربة إيزيس (يشير أبوليوس في مكان آخر في كتاباته إلى أنه قد قام بطقوس السيامة إلا أنه لم يذكر الربة إيزيس)؛ فربما هذه التجربة قد حفزت أبوليوس على استخدام قصة الرجل/ الحمار بسبب العلاقة بين الحمار وعدو إيزيس اللدود سيث تيفون Seth-Typhon. [٩] وربما أُجبر أبوليوس على إضافة الكتاب الأخير الذي يتناول عبادة الربة إيزيس، بسبب أن عبادة إيزيس وصلت إلى ذروة شعبيتها خلال عصره، ومن المؤكد أن أبوليوس، من خلال رحلاته العديدة، أتيحت له الفرصة للتعرف جيدًا على عبادتها.[١٠]

في تحولات أبوليوس نفسها، يمكن العثور على أكثر من دليل كافٍ يبرر ظهور الربة إيزيس، ويشرح الروابط بين الكتاب الأخير والحكايات السابقة التي تركز على رجل تحول إلى حمار. السبب الأكثر وضوحًا هو أن لوكيوس في حاجة ماسة إلى منقذ، وهو دور معروف جيدًا عن إيزيس، من خلال دراسة الجوانب المختلفة لإيزيس التي تجعلها مناسبة بشكل خاص لهذا الدور مثل "ربة من الآلة" "dea ex machine" في تحولات أبوليوس، فإن إيزيس تظهر بشكل عام في حكايات الإنقاذ، فهذا جانب من شعبية الديانة المصرية، وهي ذات صلة باختيارها؛ حيث ترتبط قدرتها كمنقذ بأساطيرها المصرية التي تحيى فيها زوجها أوزوريس Osoris، الذي قُتل على يد عدوها سيث تيفون، حيث تشير الربة إيزيس نفسها إلى كرهها الحمار، عندما أعطت لوكيوس تعليمات لكي يتخلص من شكل الحمار.[١١] تقول الربة إيزيس للوكيوس:

([8]) Apud, Cromley, D., (2012), p.27.

([٩]) سيث Seth: (هو الإله سيت Set ويُعرف عند اليونان ب تيفون، وباليونانية سيث Σήθ) هو إله الصحاري والعواصف والاضطرابات والعنف والأجانب في الديانة المصرية القديمة. وكان للإله سيت دور ايجابي؛ حيث كان يرافق رع في مركبته لصد أبيب Apep ثعبان الفوضى. لقد كان سيد الأرض (الصحراء) الحمراء، حيث كان بمثابة التوازن لدور حورس كسيد الأرض (التربة) السوداء. في أسطورة أوزوريس، أهم أسطورة مصرية، يصور ست على أنه المغتصب الذي قتل وشوه شقيقه أوزوريس. أعادت إيزيس، زوجة أوزوريس، تجميع جثته، وأعادت إحياء زوجها المتوفي بمساعدة الإلهة نفتيس. (OCD, s.v. Set).

وفقًا لبلوتارخوس فإن إيزيس تكره الحمار؛ لأن لون جلده الضارب للحمرة، ومظهره العام يذكرها بأسوأ عدو لها وهو سيث-تيفون، الذي قام بتمزيق شقيقها/ زوجها أوزوريس قبل هزيمتها. قارن (Frangoulidis, S., (2008),p.169).(De Is. Et Osir.33 62e).

([10]) Cromley, D., (2012), p.28.

([11]) Cromley, D., (2012), p.29.

"pessimae mihique destabilis iamdudum beluae istius corio te protinus exue."
(Apul. Met. 11.6.6-8)
"وهكذا أزل عنك جلد الحمار، ذلك النوع من الوحوش الذي أكرهه منذ وقت طويل."

الرؤى والاحلام الإلهية:

كانت الرؤى سمة مشتركة في التجربة الدينية للمتعبدين بالديانات الهللينيستية؛ فقد كانت طقوس السيامة في العبادات المختلفة مصحوبة في كثير من الأحيان برؤى للآلهة علاوة على ذلك وبشكل أكثر تحديدًا، يخبرنا باوسانياس بأنه لم يكن يُسمح لأحد بدخول معبد إيزيس في تيثوريا Tithorea[١٢] دون تلقى دعوة من الربة في المنام.[١٣] نستنتج من ذلك أن طقوس السيامة في تيثوريا قد سبقتها رؤيا دُعي فيها الفرد للمشاركة في الطقوس المقدسة وأُعطي التعليمات اللازمة.[١٤] يحتوي الكتاب الأخير من "التحولات" على أكبر قدر من مادة الحلم، ويسلط الضوء على البعد الإلهي المرجعي للحلم؛ وبالتالي يبرز الطابع الديني في نهاية المطاف لعالم أحلام أبوليوس، كما سوف نرى، فإن حلم لوكيوس الأول بالربة إيزيس عنصر محوري في الرواية؛ لأنه يحفزه على إعادة توجيه حياته بالكامل.[١٥]

في نهاية الكتاب العاشر، يرفض لوكيوس أن يضاجع فتاة مدانة بجريمة قتل، في مكان عام، (وهذه إشارة غير مباشرة على اعتناقه الرهبنة فيما بعد)، بعد الخروج من المدرج سرًّا، وقطع بعض المسافة، وصل بطريق الخطأ إلى ميناء كينكرياي، فإن خروجه السريع من الميدان ووصوله إلى الميناء يمكن تفسيره على أنه مؤشر على رغبته في "الخلاص" "salus"، وفي كينكرياي، فإن لوكيوس المنهك من الجري، ينام نومًا عميقًا هادئًا.[١٦]

---

(١٢) تيثوريا Tithorea: بلدة في اليونان القديمة في فيوتيس Phiotis، تقع على بعد ١٥٦ كيلومتر من أثينا.(OCD, s.v. Tithorea).

(13) cf, Pausanias, Description of Greece X, 32.13.

(14) Rist, M., (1937), Visionary Phenomena and Primitive Christian Baptism, The Journal of Religion, Vol.17, No. 3, pp.273-279, p.276.

(15) Gollnick, j., (1999),The Religious Dream World of Apuleius' Metamorphoses: recovering a forgotten Hermeneutic, Wilfrid Laurier Uni. Press, Canada, p.10.

(16) Frangoulidis, S., (2008),Witches, Isis and Narrative Approaches to Magic in Apuleius' Metamorphoses, Walter de Gruyter, Berlin, New York, p.144.

يقول لوكيوس-الحمار:

"iam cursu me celerrimo proripio, sexque totis passuum milibus perniciter confectis Cenchreas pervado, quod oppidum audit quidem nobilissimae coloniae Corinthiensium, alluitur autem Aegaeo et Saronico mari: inibi portus etiam tutissimum navium receptaculum magno frequentatur populo. Vitatis ergo turbulis et electo secreto litore prope ipsas fluctuum aspergines in quodam mollissimo harenae gremio lassum corpus porrectus refoveo: nam et ultimam diei metam curriculum solis deflexerat, et vespernae me quieti traditum dulcis somnus oppresserat."

(Apul. Met. 10.35.9-20)

"ثم أسرعت هاربًا بأقصى سرعة، وأتيت بعد حوالي ستة أميال بسرعة كبيرة إلى كينكريا، المدينة التي كما أسمع هي أشهر مستعمرة لأهل كورنثا، المطلة على بحار إيجة وسارونيكوس: وهناك كذلك ميناء يعد المستودع الأكثر أمانًا للسفن يتردد عليه العديد من الناس، ولأنني كنت أتجنب كثرة الناس، اخترت شاطئًا سريًّا بالقرب من رذاذ الأمواج، حيث انتعشت بطريقة ما أكثر بهجة عن طريق تمديد جسدي المنهك على حضن الرمل: الآن كان اليوم قد مضى وغابت عربة الشمس، وأنا مستلقٍ بهذه الطريقة غططْتُ في نوم حلو وهادئ."

وفي الليل يستيقظ لوكيوس على قمر جميل، يسطر عليه جمال المنظر الرائع الذي يعتقد أنه الربة إيزيس، وفي حالة من اليأس، يتضرع للربة إيزيس طالبًا منها إطلاق سراحه من البؤس الذي يلازمه في حياته وهو هيئة الحمار.[١٧]

يقول لوكيوس متضرعًا للربة إيزيس:

"tu meis iam nunc extremis aerumnis subsiste, tu fortunam collapsam affirma, tu saevis exanclatis casibus pausam pacemque tribue; sit satis laborum, sit satis periculorum. Depelle quadripedis diram faciem, redde me conspectui meorum, redde me meo Lucio: ae si quod offensum numen inexorabili me saevitia premit, mori saltem liceat, si non licet vivere."

(Apul. Met. 11.2. 17-24)

([17]) Gollnick, j., (1999), p.11

"(أتوسل) إليكِ أن تنهي معاناتي الكبيرة، وأن ترفعي حظي العاثر، (وأن تحرريني) من الحظ البائس الذي عانيت منه لفترة طويلة وامنحيني الراحة والسلام، فقد تحملت ما يكفي من العمل والمخاطر. أزيلي عنِّي الشكل البغيض، وأعيدي إليَّ ذاتي لوكيوس: وإذا كنت قد اسأت إلى قداستك الإلهية في أي وقت، دعيني أمت، إذا لم يُسمح لي أن أعيش."

وهنا يتضرع لوكيوس للربة إيزيس متوسلًا إليها أن تمنحه الخلاص، وتعيده إلى هيئته الأولى التي كان عليها، وهي هيئة البشر؛ وبذلك تعيد إليه الراحة والسلام بعد معاناته لوقت طويل، وهو في هيئة الحمار، ويفترض هنا لوكيوس فرضًا جدليًّا أنه إذا كان قد أساء في وقت مضى للربة ولن تسامحه على ذلك وتخلصه من محنته هذه، فلتمنحه الراحة من معاناته ولكن هذه المرة بالموت؛ لأنه وهو في هذه الهيئة يعد ميتًا.

وسرعان ما ينام لوكيوس مرة أخرى، ثم في الحلم يندهش لوكيوس لرؤية الربة في شكل امرأة متألقة تطمئنه وتتعهد إليه بأن تحرره من كيان الحمار، وتخبره بأنه في اليوم التالي يجب عليه أن ينضم إلى موكب عبَّادها الذين سينزلون إلى البحر للاحتفال بموسم الملاحة. وتنبأت بأن الكاهن الذي يقود المسيرة سيحمل إكليلًا من الورد، على لوكيوس أن ينتزعه من يده ويأكله، وتوضح له إيزيس بأنها في الوقت الذي هي فيه في حلم لوكيوس هي أيضًا في حلم رئيس الكهنة وتوجهه بشأن دوره في تحول لوكيوس. تطلب إيزيس أيضًا من لوكيوس أن يكرس حياته لها مقابل تدخلها الرحيم.(١٨)

تقول إيزيس للوكيوس في المنام:

"Adsum tuos miserata casus, adsum favens et propitia. Mitte iam fletus et lamentationes omitte, depelle maerorem: iam tibi providentia mea illucescit dies salutaris. Ergo igitur imperiis istis meis animum intende sollicitum. Diem, qui dies ex ista nocte nascetur, aeterna mihi nuncupavit religio, quo, sedatis hibernis tempestatibus et lenitis maris procellosis fluctibus, navigabili iam pelago rudem dedicantes carinam primitias commeatus libant» mei sacerdotes: id sacrum nec sollicita nec profana! mente debebis opperiri."

(Apul. Met. 11.5.18-24)

"ها أنا حاضرة لأسقط عنك معاناتك، ها أنا حاضرة لأساندك وأساعدك. كفَّ الآن عن البكاء وكف عن النواح، أبعد الحزن عنك: الآن هو يوم خلاصك الذي حددته عنايتي الإلهية. لذلك كن مستعدًّا وانتبه لأوامري. اليوم الذي سيأتي بعد هذه الليلة

(18) Gollnick, j., (1999), p.11.

مكرس لخدمتي بديانة أبدية، حيث ينتهي فصل الشتاء وتهدأ أمواج البحر العاصفة، الآن البحر صالح للملاحة، اعتاد كهنتي وخدمي على تقديم سفينة جديدة باسمي، كأول ثمار ملاحتهم: ولهذا يجب أن تنتظر ولا تدنس أو تزدري الأضحية بأي طريقة."

ثم تخبره بالتعليمات واليوم الذي حددته لخلاصه وما يجب عليه فعله قائلة:

"Nam meo monitu sacerdos in ipso procinctu pompae roseam manu dextera sistro cohaerentem gestabit coronam. Incunctanter ergo dimotis turbulis alacer continuare pompam, mea volentia fretus, et de proxumo clementer velut manum sacerdotis osculabundus rosis decerptis pessimae mihique destabilis iamdudum beluae istius corio te protinus exue. Nec quicquam rerum mearum reformides ut arduum: nam hoc eodem momento quo tibi venio, simul et ibi praesens quae sunt sequentia sacerdoti meo per quietem facienda praecipio. Meo iussu tibi constricti comitatus decedent populi; nec inter hilares caerimonias et festiva spectacula quisquam deformem istam quam geris faciem perhorrescet, vel figuram tuam repente mutatam sequius interpretatus aliquis maligne criminabitur. Plane memineris et penita mente conditum semper tenebis mihi reliqua vitae tuae curricula ad usque terminos ultimi spiritus vadata: nec iniurium, cuius beneficio rediens ad homines, ei totum debere quod vives."

(Apul. Met. 11. 6.1-20)

"لأن الكاهن العظيم سيحمل في هذا اليوم التالي في الموكب، إكليلًا من الورود بجانب جرس في يده اليمني، بدون تردد، نحّ الحشود وانضم إلى الموكب بسرعة، واثقًا من إرادتي، اقترب بهدوء كأنك تقبل يد الكاهن واخطف الورود وبهذه الطريقة تنحي عنك جلد الحمار وشكله، ذلك النوع من الوحوش الذي كرهته واحتقرته منذ زمن طويل. ولا تخف ولا تستصعب أي شيء من تلك الأشياء الخاصة بي: لأنني في هذه اللحظة نفسها التي أتيت إليك فيها، أنا حاضرة هناك أيضًا وأمر الكاهن بما سيفعله بعد ذلك، سيجبر الناس بموجب أوامري على إعطائك مكانًا، ولا تعتقد أنه من بين الطقوس المبهجة والجماهير السعيدة، أن أي أحد سوف يمقت شكلك المشوه، أو أن أي (شخص) سيكون قاسيًا للغاية بحيث يلوم ويوبخ استعادتك المفاجئة لشكل الإنسان. لذلك تذكر تمامًا واحفظ داخل عقلك دائمًا أن ما تبقي من حياتك حتى خروج النفس الأخير سيكون مقيدًا وخاضعًا لي، ليس ضررًا، لمن بفضلها ستعود بين البشر، أن تدين لها ما دمت حيًّا."

في صباح اليوم التالي، وفت الربة بوعدها بشكل مثير للإعجاب، في تناقض آخر مع عالم السحرة؛ حيث يخلو عالم إيزيس من الخداع، وحيث الكلام يطابقه الأفعال. يرى لوكيوس موكب المهرجان، ويتعرف على الكاهن الذي يحمل الورد، فيدخل الموكب، وبعد أن أكل الترياق الخاص بمصيبته، يستعيد وقاره، وهو ذاته البشرية السابقة. ويخرج منه السحر الشرير، بينما يحدق الحشد بتعجب في المعجزة التي قامت بها الربة.(١٩)

يقول لوكيوس:

"irrepo. At sacerdos ut reapse cognoscere potui, nocturni commonefactus oraculi miratusque congruentiam mandati muneris, confestim restitit, et ultro porrecta dextera ob os ipsum meum coronam exhibuit. Tunc ego trepidans, assiduo pulsu micanti corde, coronam, quae rosis amoenis intexta fulgurabat, avido ore susceptam cupidus promissi devoravi. Nec me fefellit caeleste promissum: protinus mihi delabitur deformis et ferina facies."

(Apul. Met. 11. 13.1-9)

"بعد ذلك، فإن الكاهن، كما استطعت أن أفهم جيدًا، قد تم حثه عن طريق الوحي في الليلة السابقة، وأتعجب من أن الأمر قد أتى الآن لتحقيق هذا التنبيه، وقف فجأة، ومد (يده) اليمنى بإكليل من الورود إلى فمي. في ذلك الوقت كنت أرتجف وقلبي ينبض بشدة، ذلك الإكليل، الذي تشابكت وروده الجميلة، أمسكته بفمي والتهمته بنهم تواقًا إلى (الخلاص) الموعود. فم يخذلني وعد السماء: وتساقط عني شكل الحمار ومظهر الحيوانات البرية."

وهنا تفي الربة إيزيس بوعدها، ويتحقق وعد السماء؛ ليأتي الكاهن إلى لوكيوس – الحمار بنفسه دون أن ينتظر أن يذهب إليه لوكيوس ويمد إليه إكليل الورود بنفسه ليأكله لوكيوس، وهنا يتضح أن الكاهن كان لديه تعليمات إلهيه أيضًا، كما أخبرت الربة لوكيوس. وأخيرًا يأتي الخلاص، ويعود لوكيوس لهيئته الأولي؛ فيا ترى ماذا سوف يفعل بعد ذلك؟ وكيف ستكون حياته بعد هذه التجربة المريرة التي تعرض لها؟ فهل سيفعل ما أمرته به الربة إيزيس من تكريس حياته لعبادتها؟ هذا ما سوف نعرض له في الأحداث التالية.

فقد حدث كل شيء تمامًا كما تنبأ الحلم، وعندما يتلاشى شكل الحمار عن لوكيوس يهنئه الكاهن على إنقاذه من قبل الربة العظيمة، ويدعوه للانضمام إلى الموكب الإلهي، حيث يعود لوكيوس مع المتعبدين إلى المعبد، ويقيم هناك ليكرس نفسه للربة. وهناك لا تزال الربة إيزيس توجهه في الأحلام والرؤى، وفي النهاية

(19) Frangoulidis, S., (2008), p.145.

دعته للخضوع لطقوس السيامة في عبادتها. [٢٠] بعد إعادته لهيئته الأولى يخبره الكاهن بأنه دخل ملجأ سلام لا مكان فيه للصراع؛ مما يخلق تناقضًا آخر مع عالم السحرة، كما يشجعه الكاهن أيضًا على دخول خدمة الربة لضمان حماية أكبر من فخاخ السحر. [٢١]

يقول الكاهن مخاطبًا لوكيوس:

"comitare pompam deae sospitatricis inovanti gradu, Videant irreligiosi, videant et errorem suum recognoscant: 'En ecce pristinis aerumnis absolutus Isidis magnae providentia gaudens Lucius de sua Fortuna triumphat.' Quo tamen tutior sis atque munitior, da nomen sanctae huic militiae, cuius non olim sacramento etiam rogabaris, teque iam nunc obsequio religionis nostrae dedica et ministerii iugum subi voluntarium: nam cum coeperis deae servire, tunc magis senties fructum tuae libertatis."

(Apul. Met. 11.15.22-31)

"الآن، اتخذ وجهًا سعيدًا يتوافق مع ردائك الأبيض، واتبع موكب الربة المُخّلصة بخطوات مبهجة، ليراك هؤلاء الكفرة ليروا ويعترفوا بخطئهم: "ها هو لوكيوس الذي تحرر من مآسيه السابقة عن طريق رعاية إيزيس العظيمة وليفرح لوكيوس بذلك وينتصر على حظه." وفي النهاية، يمكنك أن تعيش أكثر أمانًا وأكثر حماية، اجعل نفسك واحدًا فى هذه الخدمة المقدسة، التي لم يمض إلا وقت قصير منذ أن تعهدت بالقسم، كرّس نفسك منذ الآن لطاعة ديننا، وتحمل نيرًا طوعيًّا للخدمة: لأنه عندما تبدأ في خدمة الربة، ستشعر أكثر بثمار حريتك."

هنا يظهر لنا رد فعل الكاهن بعد خلاص لوكيوس، حيث يريده أن يكون عبرة لأولئك الذين يشككون في عبادتها ويكفرون بها، ولذلك يعد الكاهن إيزيس بمثابة الملجأ والملاذ للوكيوس، مشبهًا خدمة الربة "بالنير"، ولكنه يحمله طواعية راضيًا فرحًا؛ لأنه نير الخدمة المقدسة، وهنا يرسم أبوليوس صورة جميلة في هذا التشبيه؛ فعلى الرغم من أن حمل النير رمز للعبودية إلا أن الكاهن يخبر أبوليوس هنا بأنه سيشعر بالحرية من خلال هذا "النير".

وهكذا استبدل لوكيوس باستعباده السابق كحيوان أحمال عبوديةً طوعية خادمًا للربة إيزيس، ولكن من المفارقات هنا أنه كلما زادت خدمته لها أصبح أكثر حرية. ومع انتهاء خطاب الكاهن، أعجب الذين يقفون حولهم بالبراءة والإيمان اللذينِ لابد وأنهما قد ميزا حياة لوكيوس السابقة لكي يستحق هذا الشرف، إنه "يولد

([20]) Gollnick, j., (1999), p.12.

([21]) Frangoulidis, S., (2008), p.145.

من جديد" "renatus" في خدمة الربة إيزيس، وسرعان ما تظهر ذاته الجديدة عن طريق رفضه الأخطاء التي كانت في السابق جزءًا كبيرًا من شخصيته.[٢٢] وسرعان ما أصبحت رؤى إيزيس روتينًا يوميًّا بالنسبة للوكيوس، هذه الرؤى هي التي تحثه على القيام بطقوس السيامة، التي كان مقدرًا لها أن يقوم بها منذ فترة طويلة، ومع ذلك فإن لوكيوس يؤجلها باستمرار، خوفًا من صعوبات حياة الزهد بعد السيامة، ولكنه بعد أن رأى حلمًا تحول إلى حدث واقعي، جعله يعقد العزم على القيام بالطقوس؛ فقد رأى في هذا الحلم أن عبدًا اسمه كانديدوس Candidus (أي الأبيض) عاد إليه من ثيساليا Thessalia[٢٣]، وفي الصباح عاد إليه عبيده وحصانه الأبيض. [٢٤] يتعجب لوكيوس من دقة الحلم المسبقة وطريقته في ترميز عودة خدمه وخيوله في صورة واحدة مكثفة، حيث يبرز هنا البعد المسبق من الحلم بذكاء شديد، فإن لمَّ شمل لوكيوس السعيد مع خدمه السابقين وحصانه، يساعد على تصور حالة لوكيوس وهو يستعد للسيامة، يبدو أن خيوط حياته تتجمع معًا، وتجمعه مع أصدقائه القدامى من أيام ما قبل تحوله إلى حمار.[٢٥]

"Nocte quadam plenum gremium suum visus est mihi summus sacerdos offerre, ac requirenti, quid utique istud, respondisse partes illas de Thessalia mihi missas, servum etiam meum indidem supervenisse nomine Candidum. Hanc experrectus imaginem diu diuque apud cogitationes meas revolvebam quid rei portenderet, praesertim cum nullum unquam habuisse me servum isto nomine nuncupatum certus essem; utut tamen sese praesagium somni porrigeret, lucrum certum modis omnibus significari partium oblatione credebam. Sic anxius et in proventum prosperiorem attonitus templi matutinas apertiones opperiebar: ac dum, velis candentibus reductis in diversum, deae venerabilem conspectum apprecamur, et per dispositas aras circumiens sacerdos, rem divinam procurans

(22) Tatum, J., (1969), p.492.

(٢٣) ثيساليا Thessalia: منطقة في شمال بلاد اليونان تحدها من الشمال سلسلة جبال تنتهي عند البحر الإيجي بجبل الأوليمبوس، ويحدها من الغرب جبل بندوس ومن الجنوب جبل أوثريس، وأهم أنهارها نهر بنيوس. (أحمد عتمان، **(١٩٨١)**، هرقل فوق جبل أويتا، تأليف: سينيكا الفيلسوف، مراجعة: عبد اللطيف أحمد علي، وزارة الإعلام، الكويت، ص٢٣٣).

(24) Kirichenko, A., (2011), Becoming a Book: Divination and Fictionality in Apuleius' Metamorphoses, Museum Helveticum, Vol.68, No.2,pp. 182-202, p.199.

(25) Gollnick, j., (1999), p.10.

supplicamentis sollemnibus, de penetrali fontem petitum spondeo libat, rebus iam rite consummatis inchoatae lucis salutationibus religiosi primam nuntiantes horam perstrepunt. Et ecce superveniunt Hypata [1]quos ibi reliquerant famulos, cum me Fotis malis incapistrasset erroribus, cognitis scilicet fabulis meis, necnon et equum quoque illum meum reducentes, quem diverse distractum notae dorsualis agnitione recuperaverant. Quare sollertiam somni tum mirabar vel maxime, quod praeter congruentiam lucrosae pollicitationis argumento servi Candidi equum mihi reddidisset colore candidum."
(Apul. Met. 11. 20.1-28)

"في إحدى الليالي رأيت الكاهن العظيم (في المنام) وهو يقدم لي طرف ثوبه وقد امتلأ بأشياء، وعندما سألت عن ما يدل عليه، أجاب أن هذه الحصص أُرسلت إليّ من ثيساليا، وأن خادمًا لي اسمه كانديدوس قد وصل من هناك بالمثل. وعندما استيقظت، فكرت فترة طويلة في ما يجب أن تنبئ به هذه الرؤيا، خاصة أنني لم يكن لدي أي خادم يسمى بهذا الاسم: ولكن مهما كان يدل عليه حلمي في هذا الوقت، لقد اعتقدت حقًّا أن مثل كل هذه الكمية من الهدايا كانت تعني فألًا للربح. وبينما كنت قلقًا ومندهشًا من رخائي القادم، ذهبت إلى المعبد وبقيت هناك حتى الصباح: ثم دخلت، عندما أزيحت الستائر البيضاء جانبًا، صليت أمام صورة الربة المبجلة، بينما قام الكاهن بإعداد ووضع الأشياء المقدسة على كل مذبح بتضرعات جليلة، وجلبوا من المعبد الماء المقدس للسكب، عندما تم إنهاء كل شيء كما ينبغي بدأ الرهبان يحيون الصباح معلنين الساعة الأولى. وفجأة وصل من هيباتا الخدم الذين تركتهم هناك، وعندما ورطتني فوتيس في متاهتي البائسة، من الواضح أنهم عرفوا قصتي، وأحضروا معهم حتى حصاني، الذي استعادوه من خلال علامات متفرقة ورموز معينة. الرموز التي كان يحملها على ظهره. ثم أدركت تفسير حلمي، بسبب أنه إلى جانب الوعد بالربح، أعيد حصاني الأبيض، وهو ما تدل عليه حجة عبدي كانديدوس."

هنا يتلاعب أبوليوس بلفظ "كانديدوس" "candidus" الذى يعني "أبيض"؛ ففي الحلم استُخدم على أنه اسم علم ولكن في الحقيقة هو اللون، وهذا هو حال الرؤى؛ حيث إنها لا تأتي صريحة عادة ولكنها تأتي بالرمز، فهنا كانديدوس ترمز إلى لون الحصان وليس عبدًا اسمه كانديدوس كما يخبره الكاهن في الحلم. وكذلك الهدايا التي كان يحملها الكاهن في طرف ثوبهللوكيوس في الرؤية، نجد لوكيوس بنفسه يفسر معناها على أنها ترمز إلى الربح، وعندما يعود إليه خدمه يدرك أن هذا هو الربح، وهؤلاء الخدم هم الهدايا التي قدمها له الكاهن.

يسافر لوكيوس بعد ذلك إلى روما، وهناك يرى حلمًا يخبره بأنه بحاجة إلى سيامة أخرى، قام بذلك بتكلفة كبيرة، ثم استُدعِى لوكيوس إلى سيامة للمرة الثالثة، وهذه المرة في عبادة أوزوريس، حيث يظهر له الإله بنفسه في المنام، ويعده أنه سيصبح محاميًا مشهورًا.(٢٦) فإن أوزوريس يساعد لوكيوس على كسب المال من ممارسة مهنة القانون في المحاكم؛ وذلك لتغطية النفقات اللازمة الخاصة بطقوس السيامة، وحتى يساعده في دخول صفوف "الباستوفوروي" "pastophoroi".(٢٧) وقد أشار أبوليوس إلى تلك الفقرة قائلًا:

"Et ecce post pauculum tempus inopinatis et usquequaque mirificis imperiis deum rursus interpellor, et cogor tertiam quoque teletam susceptare. Nec levi cura sollicitus sed oppido suspensus animi mecum ipse cogitationes exercitius agitabam, quorsus nova haec et inaudita se caelestium porrigeret intentio, quid subsecivum quamvis iteratae iam traditioni remansisset: nimirum perperam vel minus plene consuluerunt in me sacerdos uterque 1: et Hercule iam de fide quoque eorum opinari coeptabam sequius. Quo me cogitationis aestu fluctuantem ad instar insaniae percitum sic instruxit nocturna divinatione demens imago: ‘ Nihil est ’ inquit ‘ Quod numerosa serie religionis, quasi quicquam sit prius omissum, terreare. Quin assidua ista numinum dignatione laetum capesse gaudium, et potius exulta ter futurus quod alii vel semel vix conceditur, teque de isto numero merito praesume semper beatum. Ceterum futura tibi sacrorum traditio pernecessaria est, si tecum nunc saltem reputaveris exuvias deae, quas in provincia sumpsisti, in eodem fano depositas perseverat, nec te Romae diebus sollemnibus vel supplicare iis vel, cum praeceptum fuerit, felici illo amictu illustrari posse. Quod felix

(26) Gollnick, j., (1999), p.12.

(27) Frangoulidis, S., (2008), p.147.

الباستوفوروي Pastophoroi: (باليونانية παστοφόροι) (ومعناها حاملو المعجنات) هو مصطلح لمجموعة من مسؤولي الطوائف الدينية في مختلف الطوائف المصرية داخل مصر وخارجها.

(https://referenceworks.brillonline.com/entries/brill-s-new-pauly/pastophoroi-e909570).

itaque ac faustum salutareque tibi sit, animo gaudiali rursum sacris initiare diis magnis auctoribus."
(Apul. Met. 11.29.1-26)

"ها أنا ذا بعد وقت قصير أتلقى أوامر غير متوقعة ورائعة من الربة، بإجراء طقوس سيامة ثالثة. ثم اندهشت بشدة، وفكرت بارتياب في ذهني، لأنني لم استطع معرفة ما تعنيه هذه (الرؤيا) الجديدة، أو ما هي نية (الآلهة) السماوية، أو كيف يمكن أن يتبقى أي شيء ناقصًا، حيث رأيت ذلك مرتين بالفعل: كنت قد بدأت في الأوامر المقدسة وشككت في أن الكهنة السابقين قد أعطوني مشورة سيئة أو غير كافية، وبحق هيركيوليس الآن بدأت أعتقد (أنهم لديهم شك) في إيماني. لأنهم على هذا النحو كانوا غاضبين مني ثم بينما كنت في هذا الشك الكبير والتفكير كنت مدفوعًا إلى الجنون تقريبًا حتى أوحي إليّ طائف ودود في الليلة التالية قائلًا:" ليس هناك سبب يجعلك تخاف من هذه السلسلة الطويلة من الشعائر، ظنًا أن عنصرًا ما قد أُهمل فيما سبق، ولكن يجب عليك بالأحرى أن تفرح لأن الآلهة قد وجدتك جديرًا بذلك، حيث إنه قد أسعدهم أن يستدعوك ثلاث مرات، عندما لا يكاد يُمنح لأي شخص آخر لتحقيق هذا الأمر إلا مرة واحدة، ومن هذا الرقم قد تعتقد أنك أكثر سعادة من أي وقت مضى لتحقق هذه الفوائد العظيمة. واعلم أن السيامة التي يجب أن تحصل عليها الآن هي أمر ضروري، ولكن فكر مع نفسك أن ثوب الربة الذي أخذته في المقاطعة لا يزال في نفس المعبد هناك حيث أودعته، وبالتالي لا يمكنك المواظبة على العبادة لها في روما وفي احتفال يوم العيد بثوبك المبارك. فليكن هذا الشيء لك مجدًا وبركة وصحة، ومرة أخرى، الآلهة العظماء مساعدين لك، ابدأ بعقل سعيد في الأوامر المقدسة."

نلاحظ أن لوكيوس عندما تلقى تعليمات بالخضوع لسيامة أخرى، دفعه ذلك لحالة من الحيرة المطلقة، ولكن ارتباكه هذا قد تبدد من خلال رؤية أخرى، أوضحت له أن هذه الطقوس مختلفة عن سابقتيها، وهي طقوس الإله أوزوريس؛ نتيجة لذلك يستسلم لوكيوس للشعور باليقين والسعادة. ولذلك يقوم بطقوس السيامة للمرة الثالثة، ولكن بالرغم من ذلك فإنه يفعل ذلك مع عدم الفهم نفسه؛ مما يجعله يتساءل عن مدى دقة الكاهن الذي أدار الطقوس السابقة، ومرة أخرى يتبعها رؤية أخرى توضح كل شيء بشكل مباشر من خلال شرح المنطق وراء كثرة الطقوس، التي لا معنى لها على ما يبدو، وكما حدث من قبل، يغرق لوكيوس نتيجة لتلك الرؤيا في نوبة من الحماسة الدينية غير المترددة.[٢٨]

"Nec Hercule laborum me sumptuumque quicquam tamen paenituit; quidni? Liberali deum providentia iam stipendiis forensibus bellule fotum. Denique post dies admodum pauculos

([28]) Kirichenko, A., (2011), p.200.

deus deum magnorum potior, et maiorum summus, et summorum maximus, et maximorum regnator Osiris, non alienam quampiam personam reformatus, sed coram suo illo venerando me dignatus affamine per quietem praecipere visus est, quam nunc incunctanter gloriosa in foro redderem patrocinia, nec extimescerem malevolorum disseminationes, quas studiorum meorum laboriosa doctrina ibi differebat. Ac ne sacris suis gregi cetero permixtus deservirem, in collegium me pastophorum suorum, immo inter ipsos decurionum quinquennalem allegit: rursus denique quam raso [2]capillo collegii vetustissimi et sub illis Syllae temporibus conditi munia, non obumbrato vel obtecto calvitio sed quoquoversus obvio, gaudens obibam."

(Apul. Met. 11.30.9-26)

"وبحق هيركيوليس فإنني لم أندم على الألم الذي تعرضت له ولا التهم التي وجهت إليّ، معتبرًا أن العناية الإلهية أعطتني هذا الأمر لذلك ربحت الكثير من المال في الترافع في القضايا. وأخيرًا بعد أيام قليلة ظهر لي أقوي إله بين الآلهة العظيمة، الأعلى بين العظماء، والأعظم بين الآلهة العليا، وحاكم الآلهة الأعظم، الإله أوزوريس، لا يتنكر في أي شكل آخر، ولكنه هو بذاته ويتحدث إليَّ بصوته المهيب، ويأمرني أنه يجب عليّ الآن أن أحصل على مجد كبير من خلال كوني محاميًا في المحكمة، وألا أخاف من تشهير الحاقدين، مما جعلني أشعر بالضغينة بسبب عقيدتي التي حصلت عليها بالعمل الشاق. علاوة على ذلك، لم يرغب في أن أخدم أسراره الممزوجة مع بقية كهنته، لكنه اختارني للدخول إلى مجمع الباستوفوروي، ولم يخصصني أن أكون واحدًا من الخمسين كاهنًا: عدت مرة أخرى برأس حليق إلى المجمع القديم الذي تم إنشاؤه في عهد سولا،[٢٩] لا أغطي ولا أخفي رأسي الحليق، بل أعرضه علانية للجميع، لذلك نفذت مهمتي بفرح عظيم."

يظهر للوكيوس في المنام هذه المرة الإله أزوريس بهيئته الحقيقية ولا يتنكر في هيئة أخرى، وذلك يدل على المكانة التي وصل إليها لوكيوس، وكذلك بأنه يطلب منه عمل طقوس السيامة ثلاث مرات على الرغم من أنها لا تُطلب من الشخص إلا مرة واحدة. ويبشره بأنه سيحقق مجدًا كبيرًا من خلال عمله محاميًا، كذلك ضمه إلى مجمع الباستوفوروي.

في الليلة التالية يظهر له الكاهن الذي سوف يقوم بعمل طقوس السيامه له في رؤية ويقدم له التوجيهات اللازمة، بالإضافة لذلك فإن الكاهن يُظهر لأبوليوس كعب قدمه، حيث إن كعب قدمه مبتور؛ حتى يتمكن أبوليوس من التعرف عليه عندما يبحث عنه، في اليوم التالي، بمساعدة العلامة المميزة، وجد الكاهن الأعرج الذي رآه في رؤياه، ولكن الكاهن كان على علم مسبق بمهمته؛ لأنه أثناء الليل عندما كان يضع إكليلًا من الورد على صورة أوزوريس، أخبره الإله بأنه سيرسل إليه رجلًا فقيرًا من ماداورا (مسقط رأس أبوليوس)، وعليه أن يمنحه الأسرار على الفور، وطبقًا لذلك أُدخل لوكيوس في أسرار أوزوريس من قِبل الكاهن الأعرج.[٣٠] ويروي أبوليوس ذلك على لسان لوكيوس قائلًا:

" nam proxuma nocte vidi quendam de sacratis, linteis iniectum, qui thyrsos et hederas et tacenda quaedam gerens ad ipsos meos Lares collocaret, et occupato sedili meo religionis amplae denuntiaret epulas. Is ut agnitionem mihi scilicet certo aliquo sui signo subministraret, sinistri pedis talo paululum reflexo cunctabundo clementer incedebat vestigio. . Sublata est ergo post tam manifestam deum voluntatem ambiguitatis tota caligo, et illico deae matutinis perfectis salutationibus summo studio percontabar singulos, ecqui vestigium similis sit ut somnium. Nec fides afuit: nam de pastophoris unum conspexi statim praeter indicium pedis, cetero etiam statu itque habitu examussim nocturnae imagini congruentem,quem Asinium Marcellum vocitari cognovi postea, reformationis meae non alienum nomen. Nec moratus conveni protinus eum, sane nec ipsum futuri sermonis ignarum, quippe iamdudum consimili praecepto sacrorum ministrandorum commonefactum: nam sibi visus est quiete proxuma, dum magno deo coronas exaptat, et de eius ore, quo singulorum fata dictat, audisse, mitti sibi Madaurensem sed admodum pauperem, cui statim sua sacra deberet ministrare; nam et illi studiorum gloriam et ipsi grande compendium sua comparari providentia."

(Apul. Met. 11.27.11-34)

"لأنه في الليلة التالية رأيت واحدًا من الكهنة، مغطًى بثياب من الكتان، ممسكًا في يديه حرابًا من اللبلاب، وأشياء أخرى غير ملائم الإعلان عنها، التي تركها في

([30]) Rist, M., (1937), p.276.

غرفتي، وجلس على مقعدي، وتلاها لي مثل هذه الأشياء التي كانت ضرورية للمأدبة الفخمة لدخولي الديني. ولكي أتعرف عليه مرة أخرى، فقد أراني علامة معينة كان كعب قدمة اليسرى ملتويًا قليلًا مما تسبب في تأخر مشيته قليلًا. وأزيل بسبب إرادة الآلهة الواضحة كل ضباب الغموض، وعندما انتهت صلاة الصبح للربة، كنت أتحقق بحماسة عالية من واحد إلى آخر، ما إذا كان يوجد أحد قدميه تشبه التي رأيتها في رؤياي. فما خاب ظني: لأنني لاحظت واحدًا من الباستوفوروي الذي لم يكن لديه فقد دليل قدمه، ولكن أيضًا قوام ومظهر جسده يشبهان في كل نقطة ما ظهر في الليل، عرفت بعد ذلك أنه يطلق عليه أسينيوس ماركيلوس، وهو اسم لا يختلف كثيرًا عن تحولي. ودون توان ذهبت إليه مباشرة، هو كان يعرف جيدًا كل الأمر، حيث تلقى هو الأخر سابقًا مثل هذا الأمر بإقامة الطقوس المقدسة لي: لأنه ظهر له في الليلة السابقة، إنه بينما كان يضع إكليلًا من الزهور (حول رأس) الإله العظيم أوزوريس، ومن فم (صورته) الذي يملي به أقدار جميع البشر، سمع، بإرسال رجل فقير من مادورا إليه، والذي يجب عليه على الفور أن يخدم أسراره المقدسة، حيث إن أحدهم ينال المجد على دراساته الفاضلة والآخر كونه الكاهن نفسه، له أجر عظيم، من خلال التدابير الإلهية."

مرة أخرى يرى لوكيوس في منامه رؤيا لتلقي التعليمات، ومعرفة الكاهن الذي سوف يقوم بالطقوس له، كما نجد الكاهن يعطيه علامة لكي يتعرف عليه، وعندما يذهب لوكيوس ليبحث عنه يجده كما رآه في منامه. وهنا يعود تلاعب أبوليوس بالألفاظ مرة أخرى عندما يعرف لوكيوس أن الكاهن الذي يبحث عنه اسمه أسينيوس "Asinius" الاسم الذي يشبه إلى حد كبير كلمة "asinus" التي تعني "حمارًا"، وما يجعلنا نعتقد أن أبوليوس كان لديه مغزى من اختيار هذا الاسم تحديدًا هو تعليق لوكيوس عندما سمع الاسم قائلًا: "هو اسم لا يتختلف كثيرًا عن تحولي".

عندما استيقظ لوكيوس ورأى القمر يلمع، تعرف عليه على الفور بأنه الربة العليا، التي يتضرع إليها شعوب مختلفة تحت أسماء كثيرة، ثم يغمر أولًا رأسه سبع مرات في الماء بغرض التطهير، ثم ينام مرة أخرى، ولكن سرعان ما يستيقظ ليرى الربة تخرج من البحر، يصف لوكيوس مظهرها بتفصيل كبير، مما لا يترك مجالًا للشك بأنها الربة إيزيس. (٣١)

يصف لوكيوس الربة إيزيس قائلًا:

" Iam primum crines uberrimi prolixique et sensim intorti per divina colla passive dispersi molliter defluebant. Corona multiformis variis floribus sublimem destrinxerat verticem, cuius media quidem super frontem plana rotunditas in modum

(31) Harrison, S.J., (2004), p239.

speculi vel immo argumentum lunae candidum lumen emicabat, dextra laevaque sulcis insurgentium viperarum cohibita, spicis etiam Cerialibus desuper porrectis Vestis [1]multicolor bysso tenui pertexta, nunc albo candore lucida, nune croceo flore lutea, nune roseo rubore flammida, et, quae longe longeque etiam meum confutabat obtutum, palla nigerrima splendescens atro nitore, quae circumcirca remeans et sub dexterum latus ad numerum laevum recurrens umbonis vicem deiecta parte laciniae multiplici contabulatione dependula ad ultimas oras nodulis fimbriarum decoriter confluctuabat."

(Apul. Met. 11.3.11-27)

"أولًا، كان لديها شعر كثيف يتدفق، مموج ويتناثر بنعومة حول رقبتها الإلهية. ظهر على تاج رأسها العديد من الأكاليل من أشكال مختلفة ومتنوعة من الزهور، وفي منتصف جبهتها دائرة واضحة على شكل مرآة، أو بالأحرى تمثل القمر بالضوء الذي ينبعث منها، تحمل على الجانب الأيمن والأيسر ثعابين بدت وكأنها نبتت من أخاديد الأرض، يمتد من فوقها آذان كيريس كان ثوبها منسوجًا من الكتان متعدد الألوان، في مكان أبيض ناصع لامع، وفي مكان آخر أصفر مثل زهرة الزعفران، وفي مكان أحمر وردي، وفي مكان متوهج، والذي أزعج بصري أكثر كان عباءتها المظلمة تمامًا المغطاة بالأسود اللامع، وملفوفة حولها من تحت ذراعها اليسرى إلى كتفها الأيمن على شكل درع، يتدلى جزء منه، مطويًّا بطريقة أكثر رقة، على ذيل ثوبها حتى بدت الحاشية جميلة."

هنا يصف لوكيوس الربة إيزيس، وكأنها تتجلى واقفة أمامه وهو يصفها، واصفًا شعرها بدقة، والتاج الذي تضعه على رأسها للدرجة التي جعلته عندما يصف ثوبها يصف لنا نوع القماش المصنوع منه، وكذلك يذكر جميع ألوانه واصفًا العباءة التي تضعها تحت ذراعها اليسرى بدقة متناهية. ثم يكمل لوكيوس وصف الربة إيزيس قائلًا:

"Per intextam extremitatem et in ipsa eius planitie stellae dispersae coruscabant, earumque media semenstris luna flammeos spirabat ignes: quaqua tamen insignis illius pallae perfluebat ambitus, individuo nexu corona totis floribus totisque constructa pomis adhaerebat. Iam gestamina longe diversa: nam dextra quidem ferebat aereum crepitaculum, cuius per angustam laminam in modum baltei recurvatam traiectae mediae paucae virgulae, crispante brachio trigeminos iactus,

reddebant argutum sonorem; laevae vero cymbium dependebat aureum, cuius ansulae, qua parte conspicua est, insurgebat aspis caput extollens arduum, cervicibus late tumescentibus. Pedes ambroseos tegebant soleae palmae victricis foliis intextae. "

(Apul. Met. 11.4.1-15)

"هنا وهناك على حافة (ثوبها) وعلى سطحه تلمع النجوم، وفي منتصفها وُضع القمر في منتصف الشهر، وهو يتألق مثل لهيب النار: وحول طول حاشية ذلك الثوب الرائع، كان يوجد إكليل من الزهور مجدولًا ومتواصلًا مصنوعًا من جميع الأزهار وجميع الفاكهة. كانت تحمل (أشياء) متنوعة جدًّا: في يدها اليمني كانت تحمل جرسًا من النحاس يخشخش، وقطعة مسطحة من المعدن منحنية على شكل حزام، حيث يمر من خلالها القليل من القضبان عبر محيطها، وعندما حركت هذه الأوتار الثلاثة بذراعها، أعطوها صوتًا واضحًا، وفي يدها اليسرى حملت كأسًا من الذهب مثل قارب، على مقبضة، في الجزء الذي يكون مرئيًّا، أفعى رافعة رأسها بحنجرة منتفخة. كانت قدماها ذواتا الرائحة مغطاة بأحذية متداخلة ومصنوعة بسعف النخيل (الذي يمثل) الانتصار."

ويستطرد لوكيوس مكملًا وصفه الربة إيزيس ذلك الوصف الذى يتميز بالتفاصيل الكثيرة والدقيقة أيضًا واصفًا ثوبها، وما تحمله في كلتا يديها حتى إنه وصف الصورة المرسومة على الكأس الذي كانت تحمله الربة.

ومما يؤكد هوية الربة التي ظهرت للوكيوس، أنها الربة إيزيس، هو عند استجابتها لتضرعه وصلواته لها، عرَّفت نفسها بقائمة كاملة من الآلهة، ولكنها تنهيها باسمها الحقيقي إيزيس.[٣٢] عرفت نفسها بأنها "الأم الطبيعية لكل شيء" "rerum naturae Parens" ، "سيدة وحاكمة العوالم" " elementorum omnium domina"، "رئيسة القوى الإلهية" "" regina manium ، "ملكة السماء" "prima caelitum"، " رئيسة الآلهة السماوية" " deorum dearum"، "ضوء الآلهة" "facies uniformis".[٣٣] أخبرت إيزيس لوكيوس بأنها حقًا ربة القمر التي ظهرت له، لكن الشعوب المختلفة يطلقون عليها أسماء مختلفة، على سبيل المثال فإن الإليوسين Eleusini يطلقون عليها اسم " ربتهم القديمة كيريس" "vetustam deam Cererem".[٣٤]

تقول الربة إيزيس للوكيوس:

([32]) Harrison, S.J., (2004), p.239.

([33]) Macey, J. D., Jr, (1999), "Fowle Idolatree" and Fair: Apuleius and the Idol of Isis Church, *CLS*, Vol. 36, No. 4, pp. 279-293, p.281-282.

([34]) Griffiths, J.G., (1968), Luna and Ceres, *CPh*, Vol.63, No. 2, pp. 143-145.

"En adsum tuis commota, Luci, precibus, rerum naturae parens, elementorum omnium domina, saeculorum progenies initialis, summa numinum, regina manium, prima caelitum, deorum dearumque facies uniformis, quae caeli luminosa culmina, maris salubria flamina, inferum deplorata silentia nutibus meis dispenso: cuius numen unicum multiformi specie, ritu vario, nomine multiiugo totus veneratur orbis. Inde primigenii Phryges Pessinuntiam deum Matrem, hinc autochthones Attici Cecropeiam Minervam, illinc fluctuantes Cyprii Paphiam Venerem, Cretes sagittiferi Dictynnam Dianam, Siculi trilingues Stygiam Proserpinam, Eleusini vetustam deam Cererem, Iunonem alii, Bellonam alii, Hecatam isti, Rhamnusiam illi, et qui nascentis dei solis inchoantibus illustrantur radiis Aethiopes utrique priscaque doctrina pollentes Aegyptii, caerimoniis me propriis percolentes, appellant vero nomine reginam Isidem."

(Apul. Met. 11. 5.1-18)

"ها أنا ذا، يا لوكيوس، أتيت إليك، متأثرة بصلواتك، أنا الأم الطبيعية (لكل) الأشياء، وسيدة كل العناصر، السلالة الأولية للعوالم، ورئيسة القوى الإلهية، ملكة كل من في الجحيم، الأولى بين آلهة السماء، تظهر بشكل واحد لجميع الآلهة والربات، أنا التي بإرادتي أنظم كواكب السماء، ورياح البحر النافعة، وصمت الجحيم البائس: اسمي فريد وله أشكال متعددة، محبوبة في جميع أنحاء العالم بطرق متنوعة، في عادات مختلفة وبأسماء عديدة. بالنسبة للفريجيين، وهم أول البشر، يدعونني بأم الآلهة في بسينوي، وهناك سكان أتيكا، مينرفا الأثينية، وهناك القبارصة، الذين يحملون السهام، ديانا الديكيتينة، الصقليون الذين يتحدثون ثلاث لغات، بروسيربينا الجهنمية، الإليوسين، ربتهم القديمة كيريس، والبعض يدعونني يونو، وآخرون بيلونا، وآخرون هيكاتي، وآخرون هامنوسيا، بينما وبشكل أساسي، فإن الأثيوبيين الذين يسكنون في الشرق ويستنيرون بأشعة إله الشمس الصباحية، والمصريون، المتميزون في جميع أنواع العقيدة القديمة، ومن خلال احتفالاتهم المناسبة اعتادوا على عبادتي، يدعونني باسمي الحقيقي، الملكة إيزيس."

ويستطرد أبوليوس على لسان لوكيوس في حديثه عن إيزيس إلى أن يصل إلى وصف موكبها بتفاصيل دقيقة وحسية، حيث يصف هنا أتباع عبادة إيزيس والموسيقيين الذين كانوا قد أدوا طقوس السيامة والموظفين الذين يحملون أدوات العبادة، هؤلاء يعكسون في تفاصيلهم العناصر الفعلية لعبادة إيزيس المعاصرة. فإن

هذا العرض كتعارف لعابدة إيزيس، قوي بشكل خاص ومميز بالنسبة للكتاب الحادي عشر ككل[٣٥]؛ إذ يقول أبوليوس:

"Inter has oblectationes ludicras popularium, quae passim vagabantur, iam sospitatricis deae peculiaris pompa moliebatur. Mulieres candido splendentes amicimine, vario laetantes gestamine, verno florentes coronamine, quae de gremio per viam, qua sacer incedebat comitatus, solum sternebant flosculis; aliae quae nitentibus speculis pone tergum reversis venienti deae obvium commonstrarent obsequium, et quae pectines eburnos ferentes gestu brachiorum flexuque digitorum ornatum atque oppexum crinium regalium fingerent; illae etiam, quae ceteris unguentis et geniali balsamo guttatim excusso conspargebant plateas: magnus praeterea sexus utriusque numerus lucernis, taedis, cereis et alio genere facium, lumine siderum caelestium stirpem propitiantes. Symphoniae dehinc suaves, fistulae tibiaeque modulis dulcissimis personabant. Eas amoenus lectissimae iuventutis, veste nivea et cataclista praenitens, sequebatur chorus, carmen venustum iterantes, quod Camenarum favore sollers poeta modulatus edixerat, quod argumentum referebat interim maiorum antecantamenta votorum. Ibant et dicati magno Sarapi tibicines, qui per obliquum calamum, ad aurem porrectum dexteram, familiarem templi deique modulum frequentabant."
(Apul. Met.11.9.1-25)

"من بين هذه اللذات والمهرجانات الشعبية، التي تجولت هنا وهناك، بدأ يتحرك الموكب الخاص بالربة المنقذة. النساء المتألقات في ثياب بيضاء، فرحات بحملهن (على رءوسهن) أشياء متعددة، من أكاليل وتيجان من الأزهار، وهن ينثرن الزهور التي (يحملنها) في مآزرهن، حيث يجب أن يمر هذا الموكب الملكي المقدس، وحمل آخرون خلفهم مرايا لامعة موجهة نحو الربة عندما جاءت لتريها الذين جاءوا خلفهم وكأنهم سيلتقون بها، وآخرون يحملون أمشاطًا من العاج عن طريق إيماءاتهم والتواء أذرعهم وأصابعهم (يعلنون) أنهم مستعدون لتزيين الشعر الملكي، وآخرون يرشون الطرق بقطرات من العطور والبلسم النفيس: ثم جاء عدد كبير من كلا الجنسين، بالمصابيح والشموع والمشاعل وغيرها من الأضواء، استرضاءً للاتي

([35])Harrison, S.J., (2004), p.243.

ولدت من ضوء النجوم السماوية. بعد ذلك بدأ يشدو التناغم الموسيقي للآلات والمزامير بأعذب المقاييس. ثم جاء جماعة من الشباب الفاتنون، يرتدون ثيابًا بيضاء كالثلج في صفوف احتفالية، يتبعون الكورس، مرددين شعرًا عذبًا، ألفه الشعراء الماهرون بمحاباة من ربات الشعر، بهذه الطريقة كانوا يعيدون الخاتمة والمقدمة الموسيقية كنذر إلهي. وصلت نفاخات الأبواق التي كانت مكرسة لسرابيس العظيم، وكانوا يحملون المزامير نفسها بشكل مائل باتجاه آذانهم اليمني، وهم يرددون قصيدة خاصة للمعبد والإله."

يصف لنا أبوليوس على لسان لوكيوس موكب الربة إيزيس التي يصفها هنا "بالمنقذة" فهي التي أنقذته من معاناته، ويقدم أبوليوس وصفًا مبهجًا لهذا الموكب؛ حيث النساء الفرحات اللاتي يحملن أكاليل وتيجانًا من الأزهار، ينثرن الزهور في الطرق التي يمر من خلالها الموكب، فيا له من موكب مبهج وياله من وصف يجعل القارئ كأنه يشاهد هذا الموكب يمر من أمامه. كما نرى أنهن يحملن معهن المرايا وأمشاطًا من العاج، ويرششن الطرق بالعطور والبلسم النفيس. وكان هناك رجال ونساء يحملون المصابيح والشموع والمشاعل، وكذلك لم يخل الموكب من الموسيقى والأشعار والقصائد المخصصه للآلهة.

ويستمر أبوليوس في وصف موكب إيزيس قائلًا:

"et plerique qui facilem sacris viam dari praedicarent. Tunc influunt turbae sacris divinis initiatae, viri feminaeque omnis dignitatis et omnis aetatis linteae vestis candore puro luminosi, illae limpido tegmine crines madidos obvolutae, hi capillum derasi funditus verticem praenitentes, magnae religionis terrena sidera, aereis et argenteis, immo vero aureis etiam sistris argutum tinnitum constrepentes. Sed antistites sacrorum proceres illi, qui candido linteamine cinctum pectoralem adusque vestigia strictim iniecti potentissimorum deum proferebant insignes exuvias: quorum primus lucernam claro praemicantem porrigebat lumine, non adeo nostris illis consimilem quae vespertinas illuminant epulas, sed aureum cymbium medio sui patore flammulam suscitans largiorem: secundus vestitu quidem similis, sed manibus ambabus gerebat auxillas, [1]quibus nomen dedit proprium deae summatis auxiliaris providentia: ibat tertius attollens palmam auro subtiliter foliatam necnon Mercuriale etiam caduceum: quartus aequitatis ostendebat indicium, deformatam manum sinistram porrecta palmula, quae genuina pigritia, nulla calliditate, nulla

sollertia praedita, videbatur aequitati magis aptior quam dextera; idem gerebat et aureum vasculum in modum papillae rotundatum de quo lacte libabat: quintus auream vannum aureis congestam ramulis, et alius ferebat amphoram."
(Apul. Met. 11.10.1-27)

"وبالمثل كان هناك العديد من الشماسين، يصيحون من أجل طريق لكي تمر الربة. رجال ونساء من كل فئة ومن كل الأعمار يتلألئون في ثياب من الكتان الأبيض النقي الناصع، الذين كانوا مبتدئين وأخذوا الأوامر الإلهية، وغطت النساء شعرهن المبلل بغطاء شفاف، وحلق الرجال شعر رءوسهم من الجذور وأصبحوا يلمعون، كأنهم نجوم أرضية للربة، وكانوا يحدثون رنينًا بصوت عال بصنوج من النحاس والفضة وحتى الذهب. الكهنة الرئيسيون، قادة الطقوس المقدسة، الذين كانوا يرتدون ملابس بيضاء من الكتان مشدودة حول صدورهم وتتدلى على الأرض، حاملين الآثار المقدسة لجميع الآلهة العظيمة: كان أول واحد منهم يحمل مصباحًا يلمع بنور واضح، لا يشبه كثيرًا تلك التي نستخدمها لنضيء عشاءنا وقت المساء، لأن وعاءه من الذهب وفي وسطه لهب أكثر سطوعًا، والثاني، يرتدي مثل الآخر، ولكنه كان يحمل في كلتا يديه قدورًا، منحتها العناية الإلهية للربة المنقذة نفسها الاسم الخاص بها، والثالث، يحمل شجرة نخيل بأوراق مصنوعة بمهارة من الذهب، وأيضًا صولجان ميركوريوس، الرابع، أظهر رمزًا للعدالة، وهو يده اليسرى المشوهة في كل مكان وبراحة مفتوحة، ولأنها كانت واهنة بطبيعتها، ولم تكن ماهرة، ولا بها أي مهارة، فهي أكثر ملاءمة على تمثيل العدالة من اليد اليمنى، وكان (هذا الكاهن) نفسه يحمل إناء من الذهب على شكل ثدي، حيث كان يسيل منه اللبن: الخامس، كان يحمل سلة ذهبية مليئة بأغصان من الذهب، وآخر يحمل إناء للخمر."

هنا يسهب أبوليوس في وصف موكب الربة إيزيس لينقل لنا صورة كاملة عن هذا الموكب الضخم؛ فلم يخل هذا الموكب من الكهنة، وكذلك كان يوجد الكثير من الرجال والنساء من الذين قاموا بطقوس السيامة، ومما هو واضح أن النساء كن يغطين شعرهن المبلل بغطاء شفاف، وعلى الجانب الآخر نجد الرجال حالقين رءوسهم ويبدو أن ذلك كان من طقوس السيامة. ثم يصف لنا الكهنة قادة الموكب واحدًا تلو الآخر، واصفًا ملابسه وما كان يحمله في يديه؛ ليقدم لنا صورة كاملة لهذا الموكب المهيب.

عندما يصف لوكيوس الشعائر المقدسة دون اللجوء للرمزية، يقول إن إيزيس (التي نصحته سابقًا بتلقي أسرارها) أخبرته خلال فترة الصيام والتفاني الديني أنه سوف يقوم بأداء طقوس السيامة مع الكاهن ميثراس Mithras، وعليه في اليوم التالي أن يقترب من الكاهن ويسلم عليه، ولكن قبل أن يبدأ في حكاية تجربته مع الرؤى، سبقه الكاهن قائلًا:" يا لوكيوس أعلم الآن جيدًا أنك سعيد للغاية

ومبارك، فمن تفعل معه الربة ذلك تكون قد تقبلته برحمتها"، يبدو أن الكاهن تلقى تعليماته من الربة؛ ونتيجة لذلك بدأ لوكيوس في طقوس السيامة في أسرار العبادة السرية، وبعد المراسم كسر صيامه بوجبة دينية.[٣٦]

"Ea protinus naviter et aliquanto liberalius partim ipse, partim per meos socios coemenda procuro. Iamque tempore, ut aiebat sacerdos, id postulante, stipatum me religiosa cohorte deducit ad proxumas balneas, et prius sueto lavacro traditum, praefatus deum veniam, purissime circumrorans abluit, rursumque ad templum reductum, iam duabus diei partibus transactis, ante ipsa deae vestigia constituit, secretoque mandatis quibusdam quae voce meliora sunt, illud plane cunctis arbitris praecipit, decem continuis illis diebus cibariam voluptatem cohercerem neque ullum animal essem et invinius essem. Quis venerabili continentia rite servatis, iam dies aderat divino destinatus vadimonio, et sol curvatus intrahebat vesperam: tum ecce confluunt undique turbae sacratorum ritu vetusto variis quisque me muneribus honorantes. Tunc semotis procul profanis omnibus linteo rudique me contectum amicimine arrepta manu sacerdos deducit ad ipsius sacrarii penetralia. Quaeras forsitan satis anxie, studiose lector, quid deinde dictum, quid factum: dicerem si dicere liceret, cognosceres si liceret audire: sed parem noxam contraherent aures et linguae illae temerariae curiositatis. Nec te tamen desiderio forsitan religioso suspensum angore diutino cruciabo: igitur audi, sed crede, quae vera sunt. Accessi confinium mortis et calcato Proserpinae limine per omnia vectus elementa remeavi; nocte media vidi solem candido coruscantem lumine; deos inferos et deos superos accessi coram et adoravi de proxumo. Ecce tibi rettuli quae, quamvis audita, ignores tamen necesse est: ergo quod solum potest sine piaculo ad profanorum intellegentias enuntiari, referam."

(Apul.Met.11.23.1-33)

([36]) Rist, M., (1937), p.276.

"بعد القيام بذلك، جزء اشتريته بنفسي وجزء أوكلت بجدية لبعض رفاقي لشراء بسخاء كل ما هو ضروري وملائم. عندما أصبح الوقت قريبًا، كما أكد كبير الكهنة، أحضرني إلى الحمامات التالية، مصحوبًا بجمع من العبَّاد، ويطلب العفو من الربة، ثم غسلني وطهر جسدي حسب العادة، ثم غسلني بقطرات من الماء، وأعادني إلى المعبد مرة أخرى، وقد انقضى من النهار جزآن، وقدمني أمام قدمي الربة، و(أعطاني) بعض التعليمات السرية التي لا يجوز نطقها، وأمرني بشكل عام وأمام كل الجمهور، بالامتناع عن لذات الطعام لمدة عشرة أيام متواصلة، دون أن تأكل أي حيوان أو تشرب خمرًا. هذه الأشياء التي لاحظتها باستمرار رائع. ثم جاء اليوم المتوقع للوعد الإلهي المقدر، وعندما غابت الشمس وحل المساء: وصل في كل مكان في الساحل حشد كبير من الكهنة الذين أتوا، حسب الطقوس القديمة، لتكريمي بالهدايا. ثم أزاح بعيدًا عني كل (الأشخاص) المدنسين، وغطاني برداء من الكتان الجيد، أمسك الكاهن بيدي وأخذني إلى المكان الأكثر سرية وقدسية في المعبد. ربما تسأل باهتمام كاف، أيها القارئ المتلهف، عما قيل وحدث بعد ذلك: كنت سأتكلم إذا كان مسموحًا بالتحدث، وسيتم إخبارك إذا سُمح لك بالسمع، ولكن أذنيك ولساني سيتحملون نفس الشعور بالذنب تجاه مثل هذا الفضول المتهور. لكنني لن أعذب عقلك طويلًا، والذي ربما يكون ورعًا إلى حد ما أو قد وُهب بعض التفاني، إذًا اسمع، ولكن صدق أنه حقيقي. أنني اقتربت من الجحيم، حتى من بوابات بروسيربينا، وبعد ذلك كنت مفتونًا بكل العناصر، عدت إلى مكاني المناسب، حوالي منتصف الليل رأيت الشمس مشرقة بنورها الساطع، ورأيت آلهة العالم السفلي والآلهة الأعلين قدمت نفسي أمامهم وعبدتهم. ها أنا ذا قد أخبرتك، على الرغم من أنك سمعته، فمن الضروري أن تخفيه: لذلك سأقول هذا فقط، والذي يمكن إعلانه بدون إثم لفهم المدنس."

فبعد أن اشترى لوكيوس الأدوات اللازمة للقيام بطقوس السيامة ذهب إلى كبير الكهنة الذي بدأ في عمل طقوس السيامة له وهى التي كانت كالآتي كما ذكرها لوكيوس: أولًا قام كبير الكهنة بغسل جسد لوكيوس وتطهيره. ثانيًا أتي به آخر النهار إلى المعبد ليمثل أمام قدمي الربة إيزيس ثم أعطاه بعض التعليمات السرية التي يقول لوكيوس إنه يجب ألا يفصح عنها فقد تعلم الدرس جيدًا. ثالثًا: الصيام لمدة عشرة أيام متواصلة. وفي المساء أتى وفد من الكهنة لمنحه الهدايا كما جرت العادة في الطقوس القديمة. رابعًا يغطيه الكاهن برداء من الكتان ويذهب به إلى المكان الأكثر قدسية في المعبد، وهنا لنا وقفة مع كلام لوكيوس؛ حيث يقول إنه لا يمكنه الإفصاح عما حدث بعد ذلك؛ لأنه غير مسموح له بالكلام وغير مسموح لنا أن نعرف ونسمع منه ما حدث، ويعد ذلك "فضولًا متهورًا"، ولكنه سرعان ما يعود ليقول إنه لن يعذب عقولنا كثيرًا بمثل هذا الفضول ويفصح لنا عما حدث، فهل كان لوكيوس يقصد بكلامه هذا أنه تعلم الدرس وعرف مخاطر الفضول المتهمور كما يصفه، أم أن ذلك كان مجرد تشويق في سرد الأحداث من قبل أبوليوس؟

تظهر هنا تحذيرات ضد الخيانة؛ حيث يلتزم لوكيوس في النهاية بالصمت واحترام أسرار secreta إيزيس، هذا الاهتمام بالحذر من معرفة الأشخاص الذين لم يقوموا بطقوس السيامة بأسرار العبادة، يجسد لنا سمات شخصية لوكيوس الجديد، بقدر ما يفعله غياب هذا الحذر في لوكيوس القديم قبل تحوله.(٣٧)

وتنتهي التحولات بتوجيه الشكر إلى "الآلهة الذين أنقذوه"، باعتراف لوكيوس بالجميل ومشاركته في خدمة ربة معينة، هي إيزيس، تلك الربة التي تمثل كل شيء معارض لحياته السابقة، حيث نجد لوكيوس في تناقض مباشر مع الشخصية الشهوانية التي كان عليها من قبل وبزهدها، وأصبح الآن مبتهجًا بهذه الحياة الجديدة.(٣٨)

يقول لوكيوس في نهاية التحولات:

"rursus denique quam raso capillo collegii vetustissimi et sub illis Syllae temporibus conditi munia, non obumbrato vel obtecto calvitio sed quoquoversus obvio, gaudens obibam." (Apul. Met.11.30.25-28)

"لذلك أنجزت مهمتي بفرحة كبيرة برأس حليق في أقدم مجمع أسس في عهد سولا، ولم أغطِّ أو أخفِ (رأسي) الحليق، بل أعرضها علانية لجميع الناس."

يعبر لوكيوس عن سعادته بحياته الجديدة وفرحته بأداء الطقوس، وفي تعبيره المجازي "لم أغطِّ أو أخفِ رأسي الحليق" دليل على فخره وسعادته بأداء طقوس السيامة التي كان من ضمن طقوسها حلق الرأس.

التحول الأخير الذي قرأناه، عن تحول لوكيوس إلى كاهن، هو إنجاز أدبي رائع، له تأثير قوي أكثر من أي تأثير قد حدث بالسحر، ويرجع ذلك في الأساس إلى أن من ضمن كل الحكايات التي وردت في "التحولات" نجد هذا التحول هو الأكثر أهمية من جميع التحولات الأخرى لكونه مقنعًا للغاية.(٣٩) ويرى جون جريفيث John Griffiths، أن أعظم معجزة للتحولات هي التجديد الروحي للوكيوس، فمن المؤكد أن جريفيث على حق؛ لأن التحول الأكثر أهمية في رواية أبوليوس هو التحول إلى الهداية، حيث يشير تحول لوكيوس إلى عبادة إيزيس وقيامه بطقوس السيامة في أسرارها إلى "ولادة جديدة حقيقية"، حتى إن أبوليوس يطلق عليه "يوم ميلاد السيامة" "natalem sacrorum"، ويتبع هذا الميلاد للسيامة طقوسًا تقتضي بأن يتماثل مع أوزوريس في الموت وإعادة الميلاد معه إلى حياة جديدة.(٤٠) في حين يرى فيستوغير festugiere أن اهتداء لوكيوس أمر

(37) Tatum, J., (1969), The Tales in Apuleius' Metamorphoses, TAPA, Vol.100, pp.487-527, p.511.
(38) Tatum, J., (1969), p.527.
(39) Tatum, J., (1969), p.527.
(40) apud, Gollnick, J., (1999), p.127.

أساسي بالنسبة للتحولات ودليل على معناها، حيث يرى فيستوغير أن هناك علاقة بين الكتاب الحادي عشر وبقية الرواية، فقد يفترض المرء أنه من البداية قد كان في عقل أبوليوس أحداث نهاية العمل، وبالتالي تُعد الرواية بأكملها قصة خطيئة وخلاص، وتحول بالمعني الصحيح للكلمة- مرورًا من حالة بائسة للخاطئ إلى حياة طاهرة مقدسة. ويرى فيستوجير أن هذا التفسير للرواية، من بين جميع التفسيرات الممكنة، هو الأكثر إقناعًا.(٤١)

أما بيري Perry فقد وصف الكتاب الحادي عشر بأنه قطعة أدبية عن موكب مقدس تعوض الطيش السائد في الكتب العشر السابقة.(٤٢) ولكن ليبي libby يرى أننا في الآونة الأخيرة، قد يكون لدينا اقتراحات أكثر جاذبية حول كيفية تفسير الصحوة الدينية المفاجئة لدى لوكيوس. وقد حرص بعض العلماء على الحفاظ على وحدة الرواية من خلال تحديد مواقف معينة في الحكايات الكوميدية السابقة يمكن اعتبارها تمهيدًا لكتاب جاد وهو الكتاب الأخير، بينما رفض آخرون هذا التفسير الجاد للكتاب الحادي عشر، ويفضلون تفسير اهتداء لوكيوس على أنه أمر هجائي.(٤٣)

كما يرى كينان Kenaan أن التناقض الواضح بين تجارب لوكيوس السابقة وتحوله الروحي النهائي جعل المفسرين يحاولون إيجاد طريقة لحل هذا التوتر الظاهر، بالنظر إلى المغزى من هذه الرواية، ويُنظر للرؤى الإلهية على أنها الهدف النهائي للرواية، التي تُفهم على أنها مظاهر للمعرفة الحقيقية التي بدورها تُبطل الطبيعة المزيفة لتجارب لوكيوس السابقة، على الرغم مما يبدو، أن سلسلة التجارب الشبيهة بالأحلام تليها سلسلة من الوحي الديني، لا تشكل بالضرورة قصة اهتداء. ولكننا إلى حد ما يجب أن نعترف أن لوكيوس تحول إلى عابد، ولكن تجربته الدينية هذه لا تبرر قراءة الرواية ككل على أنها رواية اهتداء ديني. من أجل إنشاء حكاية اهتداء ديني كان على أبوليوس أن يستخدم نموذجًا طائفيًّا تكون وجهة نظره النقدية للماضي هي العنصر المهيمن في الرواية، ولكن في الواقع نجد أبوليوس قد فعل العكس تمامًا؛ إذ غمر بطل روايته في عالم مادي وأرجأ أي اتهام صريح لتوجه شخصيته المريبة حتى الكتاب الأخير من الرواية.(٤٤)

كما يرى عديد من الدارسين لرواية أبوليوس، أن وجود إيزيس كامن طوال الكتب العشر الأولى من الرواية، حيث يلمح أبوليوس إلى هذا الوجود من خلال أساليب رمزية ومجازية، كما أن أعمال ربة الحظ فورتونا Fortuna، وهي

(41) apud, Gollnick, J., (1999), p.127.
(42) apud, Libby, B.B., (2011), Moons, Smoke, And Mirrors in Apuleius' portrayal of Isis, *AJP*, Vol. 132, No.2, pp. 301-322, p.301.
(43) Libby, B.B., (2011), p.301.
(44) Kenaan, V. L., (2004), Delusion and Dream in Apuleius' Metamorphoses, *CA*, Vol. 23, No.2, pp.247-284.

تصرفات واضحة بشكل جلي، قد حُدِّدت صراحة على أنها تصرفات الربة إيزيس، كلتا الربتين- إيزيس الحقيقية وفورتونا المتلونة- تمثلان قوتين، كامنة وظاهرة على التوالي، يتشاركان في توجيه حياة لوكيوس.(٤٥) وطوال الخطاب الذي وجهه الكاهن للوكيوس، كان يقول إن ربة الحظ هي عامل معاناة لوكيوس، وفي الواقع فإن هذا الرأي شبيه بمثل، حيث تُصوَّر الربة فورتونا طوال الرواية على أنها خصم مرئي ضد لوكيوس وعديد من الأشخاص الأخرين في الرواية، الذين يتذمرون بمرارة من هذه التصرفات، وهكذا تُحوَّل "ربة الحظ العمياء" إلى ربة الحظ "البصيرة" أو إلى "إيزيس تيخي Isis Tyche"، وهو أحد المظاهر العديدة لإيزيس.(٤٦)

يقول الكاهن في خطابه للوكيوس:

"In tutelam iam receptus es Fortunae, sed videntis, quae suae lucis splendore ceteros etiam deos illuminat."

(Apul. Met. 11.15. 18-20)

"أنت الآن بأمان وتحت حماية "ربة الحظ"، (التي ليست بعمياء) ولكنها تستطيع أن ترى، والتي من خلال نورها الصافي تنير الآلهة الأخرى."

اتخذت الربة إيزيس عدة صور وأشكال وأسماء كما رأينا، وهنا نجد لها صورة جديدة أخرى، وهي أن الكاهن يصورها على أنها ربة الحظ، ولكنها تختلف عن ربة الحظ التي نعرفها بأنها ليست بعمياء؛ فهي ترى بوضوح، وتنير لجميع الآلهة الأخري بنورها الصافي، ويقصد هنا بالعمياء والمبصرة تعبيرًا مجازيًّا كدليل على عدل الربة إيزيس.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر اليونانية واللاتينية:

Apuleuis, Metamorphoses, Translated by Adlington, W., (1924), L.C.L., 4th. Ed., London.

أوغسطين، مدينة الله، المجلد الأول، ترجمة: الخور أسقف يوحنا الحلو، (٢٠٠٦)، بيروت، دار المشرق، الطبعة الثانية.

ثانيا: المعاجم والموسوعات:

Oxford Classical Dictionary, 2nd ed., ed. Hammond, .N.G. and Scullard, H., Oxford, (1970).

Oxford Latin Dictionary, Oxford Univ. Press, London, (1968).

(45) Kenaan, V. L., (2004), p.282.

(46) Tatum, J., (1969), p.491-492.

ثالثاً: المراجع

مراجع باللغة العربية:

- أحمد عتمان، (١٩٨١)، هرقل فوق جبل أويتا، تأليف: سينيكا الفيلسوف، مراجعة: عبد اللطيف أحمد علي، وزارة الإعلام، الكويت.
- ---------- ، (١٩٩٠)، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، العصر الفضي، الطبعة الأولى، إيجيبتوس، القاهرة.
- إدوارد جيبون، (١٩٩٧)، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الأول، ترجمة: محمد على أبو درة، مراجعة وتقديم: أحمد نجيب هاشم، الطبعة الثانية، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- أماني محمد فراج، (٢٠٢١)، وظيفة الأقاصيص الفرعية في رواية "التحولات" لأبوليوس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
- سيد الناصري، (١٩٩١)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ، ط.٢، دار النهضة العربية، القاهرة.
- طه محمد زكي، (٢٠١٧)، دراسة تحليلية لبرولوجوس رواية التحولات لأبوليوس، مجلة أوراق كلاسيكية العدد الرابع عشر.
- م.ب. تشارلز وورث، (١٩٩٩)، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبدة جرجس، مراجعة: صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- م. رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج١، ترجمة: زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧.
- هانم محمد فوزي، (٢٠٠٢)، فن الساتورا، دراسة في الأدب الساخر عند الرومان، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة.

ب_ المراجع الأجنبية:

- Anderson, G., (2005), The Second Sophistic, Acultural Phenomenon in the Roman Empire, Tylor& Francise library, London and New York.
- Baker, A.J.E., (2011), Apuleius' political animal: A socio- cultural reading of identity in the Metamorphoses, for the degree of doctor, Uni. Of Washington.
- Benson, G. C., (2013), The Invisible Ass: A Reading of Apuleius' Metamorphoses, for the degree of doctor, Chicago, Illinois.

- Bohm, R.K., (1973), The Isis Episode in Apuleius, *C.J*., Vol. 68, No.3, pp.228-231.
- Brant, L., (2016), Apulean Woman and Gener, Indiana Uni., for the degree of doctor.
- Brown, T.H., (1964), The relationship between "Partonopeus de Blois" and the Cupid and Psyche tradition, Brigham Young University, Vol.5, No.3, pp. 193-202.
- Bryant, E. E., (1895), The Reign of Antoninus Pius, London.
- Bury, J.B., (1893), A History of The Roman Empire from its Foundation to the Death of Marcus Aurelius, New York.
- Carneron, A., (2010), Psyche and her sisters, Latomus, T. 69, Fasc. 4, pp. 1070-1077.
- Carver, R. H.F., (2007), The Protean Ass, the Metamorphorses of Apuleius from Antiquity to the Renaissance, Oxford Uni. Press, New York.
- Cromley, D., (2012), Voce Privatus: Speech, Silence, and Human Entanglement in Language in Apuleius' Metamorphoses, for the degree of Doctor of Arts, Uni. Of Chicago.
- Frangoulidis, S., (2008), Witches, Isis and Narrative, Walter de Gruyters, Berlin, New York.
- Gibson, B., (2005):, The High Empire: AD 69-200, pp.69-79, A companion to Latin Literature, Edited by Harrison S., Blackwell, Oxford, U.S.A.
- Gollnick, j., (1999),The Religious Dream World of Apuleius' Metamorphoses: recovering a forgotten Hermeneutic, Wilfrid Laurier Uni. Press, Canada.
- Granwehr, M.G., (1994), Apuleius' Metamorphoses: A study on stuctre, for the doctor degree, Uni. of Lowa.
- Griffiths, J.G., (1968), Luna and Ceres, *CPh*, Vol.63, No. 2, pp. 143-145.

- Harrison, S., (2005):, The Novel, p.p. 213-222, A companion to Latin Literature, Edited by Harrison S., Blackwell, Oxford, U.S.A.
- Harrison, S.J., (2000), Apuleius A Latin sophist, Oxford Uni. Press, New York.
- Idem, (2004), Apuleius A Latin Sophist, Oxford Uni. Press.
- Henderson, B.W., (1923), Life and Principate of Emperor Hadrian(76-138 AD.), London.
- Kenaan, V. L., (2004), Delusion and Dream in Apuleius'Metamorphoses, *CA*, Vol. 23, No.2, pp.247-284.
- Kirichenko, A., (2011), Becoming a Book: Divination and Fictionality in Apuleius' Metamorphoses, Museum Helveticum, Vol.68, No.2,pp. 182-202.
- Libby, B.B., (2011), Moons, Smoke, And Mirrors in Apuleius' portrayal of Isis, *AJP*, Vol. 132, No.2, pp. 301-322.
- Londy, D.,& Johanson, C., (1987), The Logic of Apuleius, New York.
- Macey, J. D., Jr, (1999), "Fowle Idolatree" and Fair: Apuleius and the Idol of Isis Church, *CLS*, Vol. 36, No. 4, pp. 279-293.
- Osgood, J., (2006), "Nuptiae Iure Civili Congruae": Apuleius story of Cupid and Psyche and the Roman Law of Marriage", TAPA, Vol.136, No.2, pp. 415-441.
- Panayotikis, C., (2001), "Vision and Light in Apuleius' Tale of Psyche and Her Mysterious Husband, *C.Q.*, Vol.51, No.2, pp. 576-583.
- Papaionnou, S., (1993), "Charite's Rape, Psyche on the Rock and the Parallel Function of Marriage in Apuleius's Metamorphoses", Mnemosyne, Vol. 51, pp.302-324.
- Parker, S., (1999), Techniques of Description in Apuleius' Cupid and Psyche, for the doctor degree, McMaster Uni.

- Parker, S.,& Murgatroyd P., (2002), "Love poetry and Apuleius" Cupid and Psyche", *C.Q.*, Vol.52, No.1, pp.400-404.
- Rist, M., (1937), Visionary Phenomena and Primitive Christian Baptism, The Journal of Religion, Vol.17, No. 3, pp.273-279.
- Rives, J. B., (1994), The Priesthood of Apuleius, AJP, Vol.115, No.2, pp.273-290.
- Sabnis, S.A., (2002), Storytelling Slaves and Narrative Resistance in Apuleius' Metamorphoses, for the degree of doctor, Uni. Of California.
- Seemgmiller, B., (2004), Isis Worship in Second Century Greece and Rome as Portrayed in Apuleius' *Metamorphoses*, Utah State University, for the degree of Master of Arts.
- Sherry, M.W., (2019), Cupid returns: An Analysis of Cupid's Metamorphosis in Apuleius' Cupid and Psyche, Uni. Of North Carolina, for the degree of master.
- Summers, R.G., (1967), A legal commentary on the Metamorphorses of Apuleius, for the degree of doctor, Uni. Of Princeton.
- Tatum, J., (1969), The Tales in Apuleius' Metamorphoses, TAPA, Vol. 100, pp.487-527.
- Idem, (1972):, Apuleius and Metamorphosis, AJP, Vol.93, No.2, pp.306-313.
- Turner, P., (1960), Pater and Apuleius, Victorian Studies, Vol.3, No.3, pp. 290-296.
- Walsh, P.G., (1988), "The Rights and Wrongs of Curiosity (Plutarch to Augustus)", Vol.35, No.1, pp.73-85.
- Winkle, J. T., (2002), Daemons, Demiurges, and Dualism: Apuleius' *Metamorphoses* and the mysticism of late antiquity, Uni. Of North Western, for the degree of Doctor of Arts.